بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث عشر — الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم — المبحث: سورة لقمان

التاريخ:2021\9\22م — كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني

وصل الكلام إلى الآية الخامسة، وهي قوله تعالى: ﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] هذه الآية كما سورة تلاحظ مكررة في القرآن الكريم حيث ذكرت في سورة البقرة، ومن المتناسبات أيضاً أنها ذكرت في سورة لقمان الآية الخامسة، وكذلك في سورة البقرة، وفي سورة البقرة أيضاً ذكرت بعد ذكر الأوصاف للمتقين، وفي هذه السورة ذكرت هذه الآية بعد ذكر أوصاف المحسنين، فيوجد تشابه بين هذه الآيات في سورة لقمان مع الآيات في سورة البقرة.

بطبيعة الحال أكثر المفسرين الذين مشوا على الترتيبي لتفسير القرآن الكريم، في سورة لقمان لم يبحثوا عن هذه الآية؛ اختصاراً لما تقدم من تفسيرهم في سورة البقرة، عندنا مع هذه الآية عدة وقفات:

الوقفة الأولى: في موقعية هذه الجملة في السياق المقطعي، وترابط في هذه الجملة مع سائر الآيات الأخرى، وهذا باعتقادي من الأمور المهمة، إذا لاحظنا الآيات الأربع المتقدمة أن الباري تبارك وتعالى ذكر أن آيات كتابه هدى ورحمة للمحسنين، ثم وصف هؤلاء المحسنين بصفتين ترجعان إلى المداومة على فعلين، وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم ذكر الداعي للمداومة على هذين الفعلين، وهو أنهم وصلوا إلى مرحلة الإيقان بالآخرة ﴿وَهُمْ بِالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2] هذا البيان لوحده لا يكون سبباً كافياً لتحريك جميع أفراد المجتمع، الناس في الاجتماع على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: وهي أعلى طوائف المجتمع، وهي التي يحركها حسن الشيء، "وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك[3]" مثل هذه الطائفة يكفيها بيان الأمور الحسنة والأمور القبيحة، كي تقدم في الأول وتحجم عن الثاني، هؤلاء عقلاء المجتمع بالمعنى الدقيق للعقلاء، فيحركهم ويشوقهم إلى العمل، ما في هذا

---

5 дрвчю
4 дрвчю
404 J 1 бсkЭЭсЮКм14 J 41 брЁмкЁрс3 3

العمل من حسن، فيتحلون بالأخلاق الفاضلة ليس انتظاراً لثواب أو عقاب؛ لأنهم يرون أن في هذا التحلي هو كمالهم.

الطائفة الثانية: هم تلك الطائفة التي تقوم مواقفها على حساب الربح والخسارة، لا على حساب حسن الشيء، حتى لو كان الشيء قبيحاً وكان فيه ربح يقدمون عليه، ولعله هم الأكثر، فالمقياس عند هؤلاء في الإقدام والإحجام في الموقف والحركة النافع والربح والفائدة، وهؤلاء هم النفعيون.

الطائفة الثالثة: هم تلك الطائفة التي هم ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلا﴾[4] هؤلاء ختم الله على قلوبهم، لا يحركهم لا حسن الشيء ولا النفع، وإنما يعملون ما يحلو لهم ولو من دون تفكير، ولعل أكثر طائفة هي الثانية، أما الأولى والثالثة فهم قلة.

فعلى هذا الأساس إذا اتضحت هذه المقدمة، في الآيات الأربع الأولى يوجد ما يحرك الطائفة الأولى؛ لأنه في الآيات الأولى بيّنت أن صفة الإحسان صفة ممدوحة، وهؤلاء المتصفين بهذه الصفة يداومون على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأنهم على يقين بالآخرة، لكن لا يحرك الطائفة الثانية التي هم الأكثرية، فكان هؤلاء بحاجة إلى مؤثر نفسي يحركهم، فجاء هذه المؤثر النفسي من سنخ ما يحركهم، النفع والضرر، وجاءت هذه الآية الشريفة لتقول: ﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5]

هل من الناس لا يحب الهداية في الدنيا والفوز في الآخرة؟ إذن عندما تكلم عن فائدة، وإن كانت هي الفائدة مهمة وفائدة إلهية، لكن يعطي هؤلاء ذلك المؤشر النفسي كي يراجعوا أنفسهم ويندرجوا في سلك المحسنين شيئاً فشيئاً، ولم يكتف الباري تبارك وتعالى بمدح الإحسان وذكر صفات المحسنين، بل هذا الشيء سوف يؤدي إلى ربح، إلى فوز، غاية الأمر هذا الفوز قد لا يكون من سنخ ما يرغبون به، لكن كمؤثر نفسي بدوي يحرك العقل الجمعي لهؤلاء لهو أثر.

إذا هذا هو الارتباط بين هذه الآية الشريفة وبين ما تقدم عليها من آيات، هذه الوقفة الأولى.

---

4 [illegible] 44
5 [illegible] 5

الوقفة الثانية: في مناسبة اسم الإشارة، الآية الشريفة قالت: ﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6] هل يمكن أن يقول "وأولئك" بعد أن ذكرت الآية الشريفة المحسنين، ثم بينت أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ثم جاءت الآية الأخيرة وهم بالآخرة هم يوقنون، كان يمكن أن يقول: وهم على هدى من ربهم، يعني يستعمل الضمير؛ لأنه في الآية السابقة استعمل الضمير، وقد يقال مقتضى وحدة السياق أن يستعمل الضمير، وهم على هدى من ربهم وهم المفلحون، بينما تغير الأسلوب من الضمير إلى اسم الإشارة، واستعمل اسم الإشارة للبعيد أولئك، أما هذا التبدل الأسلوبي والذي يطلق عليه ابن الأثير الحلبي عنوان شجاعة العربية، ويستحق فعلاً هذا الأسلوب هذا الإطلاق شجاعة العربية، طبعاً لا تختص بالانتقال من الضمير إلى اسم الإشارة، بل مطلق الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، الذي واحد من أقسامه، مثلاً: الالتفات المذكور في علم البلاغة، فعلاً هذا مورد مباراة الأدباء والشعراء والبلغاء، وبهذا كان القرآن هو المعجز، فمقتضى السياق أن يقول: هم على هدى من ربهم وهم المفلحون، انتقل من هذا الأسلوب إلى أسلوب آخر.

القاعدة في التعابير البلاغية والأدبية، مثلاً لو قلت: إني أحب طلابي المجتهدين والمتواضعين، فذكرت طلابي وذكرت لهم بعض الصفات، ثم قلت: أولئك أهل للإكرام، اسم الإشارة يرجع إلى طلابي بلحاظ ما ذكر لهم من صفات؛ لأدلل على إن ما جاء بعد اسم الإشارة إنما استحقوه وكانوا به جديرين لأجل ما أجري لهم من صفات، لا لمجرد كونهم من طلابي، وهذا المعنى لا يفيده التعبير بالضمير؛ لأن التعبير بالضمير مثله مثل العلم، مثله مثل الاسم.

ففيما نحن فيه، في هذه في هذه الآية، وفي سورة البقرة، في هذه الآية الخامسة التي ذكرنا أنها جاءت كمؤثر نفسي لدعوة جميع طبقات المجتمع إنما جاءت لتدلل بواسطة اسم الإشارة على أن هذا الربح،

[illegible] خرة أ

ا وإ .

و

.

---

5 ДРВЧЮ